التخبط الاستراتيجي الامريكي: من جنة «شرق اوسط كبير» موعودة الى تحالف «اعتدال» وسراب حريات ليبرالية موءودة!

نبيل نايلي*

■ «(...) على كل دولة ان تتخذ خيارها، اما ان نؤيد المعتدلين والمصلحين الذين يعملون في سبيل التغيير في الشرق الاوسط الكبير، واما ان نسلم المصير للارهابيين والمتطرفين. وقد اتخذت امريكا خيارها: نحن نقف في صف المعتدلين والمصلحين».

مقتطف من حديث اذاعي موجه الى الأمة لجورج بوش، السبت 23 ايلول (سبتمبر) 2006، «ان موقف السعودية ومصر والاردن كان استثنائياً... واعتقد انكم سترون كيف ستقدم هذه الدول الموارد والاموال تشجيعاًلقوى الاعتدال...»

من حوار اجري مع وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس بـ«الوول ستريت جورنال». ليس من مجحف القول ان دارسي اداء الادارة الامريكية الحالية، وان لم تتوفر لهم بعد المساحة الزمنية الكافية للدرس المتأني والمتفحص، سينتهون الى حقائق مفادها ان هذه الادارة استثنائية بكل المقاييس، انقلابية منذ النشأة الاولى، مناورة حد المغامرة غير المحسوبة، مغرقة في اختلاق الاكاذيب وتلفيقها، متنكرة لكل من لا يخدم غاياتها وان كانوا ابناءها الشرعيين، متناغمة حد الاسراف مع روح نظرية «الفوضى الخلاقة»! ولعل المتتبع لخطوات ادارة بوش واستراتيجياتها في منطقتنا لا شك اضناه هذا الكم الهائل من البرامج واعيته اساليب التعاطي المتضاربة بل والمتناقضة.

احيانا وان لم تحد عن الغايات المرسومة لها بدقة متناهية: بسط هيمنة الولايات المتحدة واطالة امد نظام القطبية الواحدة وتأمين المصالح الحيوية الامريكية بما يمنع ظهور قوة او مجموعة قوى منافسة. فكلما ارتأت واشنطن اعادة رسم خرائط مجالها الجيوستراتيجي، بما يعنيه من تفكيكات جيوبوليتيكية، صاحب ذلك تعديل في الخطاب واسلوب التعاطي واختيار الـ«حلفاء» الذين سيؤمنون نجاح الخطط باقل كلفة ممكنة وأخف ضرر. في ظل هذا الاطار يمكن ان نفهم الرهان الجديد على ما تسميه الادارة الامريكية بـ: «معسكر الاعتدال». فما هي ظروف نشأة هذا المعسكر؟ من ينتمي الى هذا التحالف؟ وما المقصود بوصف «الاعتدال»؟ وما المهام المنوطة بعهدته؟ ثم ما هي مضاعفاته على حركة المقاومة العربية الممتدة من فلسطين الى العراق؟ هذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في هذه الدراسة لنكشف التوجهات الامريكية واسرار هذه التغيرات التي طرأت في الايام الاخيرة وخصوصا بعد الحرب على لبنان.

لقد كانت الاستراتيجية الامريكية حتى ما قبل الانتكاسات الاخيرة في افغانستان والعراق ولبنان تضع مشروع «الشرق الاوسط الكبير» حجر زاوية لسياساتها بالمنطقة مرتكزة على قاعدتين اثنتين هما: مكافحة ما تسميه بالارهاب ونشر ما تعتبره «ديمقراطية». ولقد عملت طوال تلك الفترة على ابتزاز النظام الرسمي العربي من خلال الضغط على كل من مصر والسعودية وسورية باتجاه التغيير الطوعي او القسري وكثر الحديث ايامها عن عزل القاهرة ومنع مشروع التوريث والتلويح بقطع المعونة والتدخل في سير الانتخابات واثارة قضايا سعد الدين ابراهيم، وايمن نور وغيرهما. كما تعرضت المملكة العربية السعودية الحليف الذي باع الغالي والنفيس من اجل كسب رضا الباب العالي الامريكي دون جدوى، الى اشرس حملات التشنيع والترويع ومطالبتها بضرورة التغيير والاصلاح بل ذهب بهم الصلف حد المطالبة بتعديل مناهجها التعليمية لمكافحة الفكر المتطرف والعدواني. كان ذلك ايام الربيع الامريكي في المنطقة وبدافع تأثير زهو النصر الزائف بالعراق.

ولكن مع تعثر المشروع الامبراطوري في محوريه الافغاني والعراقي ومع انتكاسة الحليف الاستراتيجي الصهيوني بلبنان ومع تصاعد جبهات الرفض والمقاومة وادراك الادارة الامريكية ان الديمقراطية الحقة ستفرز لها قوى وطنية اول ما تطالب به هو رفع وصايتها عن الامة وترحيل قواعدها واسترجاع السيادة السليبة، وبالتالي تهدد النظام القائم الذي تتمعش منه مما سيهدد في الصميم المصالح الحيوية الامريكية ويجهز على المشروع الامبراطوري برمته. كل ذلك دفع بصناع القرار الامريكي الى التخلي عن احدى القاعدتين المشار اليهما سابقا: نشر الديمقراطية، وان كان محض شعار زائف لم يغتر به الا امثال كنعان مكية العراق وغادري سورية وامثالهما ممن يقايضون الاستقلال بوعود زائفة بحريات ليبرالية كتلك التي ينعم بها العراق! وبين عشية وضحاها خبا ذلك الحديث السمج والوعد الزائف بديمقراطية ستغمر ارجاء هذا الوطن وتحوله الى واحة امن وامان. ولعل افضل ما يعبر عن هذا التحول الجذري في الاستراتيجية الامريكية هو الوثيقة الرسمية الصادرة عن البيت الابيض والمسماة: «محاربة الارهاب». فهي تلخص التوجهات الجديدة للادارة الامريكية في حصرها «للنجاحات» و«الاهداف» و«الوسائل» و تحديدها لـ«الاعداء» و«المنظمات» و«الدول»، مميزة بين ما تصطلح الوثيقة عليه بـ«الحرب بالسلاح» و«الحرب بالافكار».

لقد شكلت حرب لبنان الاخيرة ونصر «حزب الله» الساحق منعطفا ونقطة تحول لم يخطئهما الا الطابور الخامس من دعاة الوقوعية ـ ولا نقول الواقعية ـ والمحبطين والمثبطين القائلين بضرورة التسليم والقبول بما تقرره الادارة الامريكية والكيان الصهيوني في زمن «الاستسلام الاستراتيجي»! بالتاكيد اول من استوعب دروس تمريغ الانف الصهيوني، لاول مرة في تاريخه، في وحل «عيتا الشعب» و«بنت جبيل»، مسفها اسطورة «تساحال الذي لا يقهر»، وتنبه لهذا التسونامي المبشر بارتجاجات على ساحات هذا الوطن العربي، هي الادارة الامريكية التي وعت جيدا الصحوة القومية التي صاحبت صمود حزب الله واداءه العسكري الاسطوري الذي مسح عار جيوشنا النظامية واحرج منظري الاستسلام من رسميين وطابور خامس من القائلين بألا قبل لنا بمواجهة الكيان الصهيوني، ثم وهو الاهم كسر حالة العجز والتسليم التي كرستها الاقليمية المجرمة من خلال معاركها الخاسرة ومعاهداتها المذلة، اذ ان استحقاقات نصر «حزب الله» من شانها ـ ان وعاها ابناء هذه الامة طبعا ـ ان تغير والى الأبد شكل واسلوب تعاطي الشعب العربي مع قضاياه القومية اقتداء بتجربة حزب الله الرائدة. من هذا المنطلق ومن عمق مرارات الفشل والانتكاسات على جميع الجبهات (افغانستان حيث عادت حركة طالبان بقوة، العراق حيث تكيل المقاومة لقوات الاحتلال الضربة تلو الضربة، فلسطين المقاتلة ابدا واخيرا لبنان في حرب جرت بالوكالة Proxy War)، وامام الحاح اساتذة الواقعية الخائفين على مصير المشروع الامبراطوري من امثال زبيغنيو بريجنسكي وهنري كيسنجر الذي كان آخر من قرع ناقوس الخطر ودعا لضرورة تعديل الاستراتيجية الامريكية واسلوب التعاطي المعتمدين وفق ما يجد على الساحة العالمية والعربية للحفاظ على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الامريكية: تعديل في الاسلوب لا الغايات!

للتغطية على حالة الارتباك والتخبط عمدت الادارة الامريكية كعادتها الى ترويج الاكاذيب والمعلومات المضللة، والمزوقة دائماً بوعود التحرير والديمقراطية والنظام المثالي الجديد الذي سينعم به الشرق الاوسط الكبير بينما يتحول الاحتلال في فلسطين والعراق – كما تحول العدوان الآثم على لبنان– الى ساحة لارتكاب ابشع المجازر وجرائم الحرب ومختبر للمؤامرات التي تُحاك من اجل اشعال نار الفتن الاثنية المذهبية، التفافا وتشويها لعمليات المقاومة الوطنية، التي بلغت هجماتها على قوى الاحتلال في العراق فقط ما بين ثلاثة الى اربعة آلاف غارة شهرياًفي الفترة الاخيرة بحسب احصاءات امريكية كبدت الولايات المتحدة اكثر من 350 مليار دولار، وثلاثة آلاف قتيل وعشرين الف جريح. آخر اضاليل دولة «حالة الانكار» Denial State of كما يصفها الصحافي والكاتب الامريكي الشهير بوب وودوارد، Bob Woodwardفي كتابه الاخير، هي الموجة الدعاوية المحمومة والمصحوبة بتحركات «كوندي» الدبلوماسية المكوكية بين اقطار هذا الوطن المستباح لتسويق شعار جديد اسمه: «الاعتدال» في مواجهة التطرف!!! كعادتها تلقفت الترسانة الاعلامية هذا المصطلح لينوب بين عشية و ضحاها عن مصطلحات سمجة اخرى صمت بها آذاننا كمحاربة ما يسمى بـ«الارهاب» و«نشر الديمقراطية» و«الاصلاح» و«التغيير» السياسيين وكل تلك الشعارات البراقة الزائفة التي بشر بها مشروع الشرق الاوسط الكبير الذي جادت به قريحة دهاقنة المحافظين الجدد وعتاة الصهاينة المحيطين بجورج بوش عشية النصر الكاذب على عراق مثخن ومتآمر عليه.

فهل نحن امام تغير جوهري في السياسة الخارجية الامريكية، ليس فقط تجاه دولة بعينها، وانما تجاه المنطقة برمتها؟ ام عودة الى الاستراتيجية الامريكية التقليدية في المنطقة المعتمدة على الكيان الصهيوني كقاعدة متقدمة من جهة وعلى حلفائها من الانظمة والمحميات العربية المرتهنة والتابعة والتي كانت الى وقت غير بعيد تبتزها واشنطن ومحافظها الجدد بالتلويح بالاصلاح والتغيير الديمقراطي الطوعي او القسري؟ ام هو فقط تراجع تكتيكي لا غير يراعي المستجدات بالمنطقة ويغير سلم الاولويات الاستراتيجية فيقع التخلي مرحليا عن نشر ديمقراطية تابعة وعميلة للحفاظ على الوضع القائم ما دام هو الكفيل بضمان المصالح الحيوية الامريكية؟ ام هو انقلاب على الوعود والمفاهيم والقيم التي كانت ولا تزال تتشدق بها الولايات المتحدة؟ ام بالاحرى التفاف سريع فحسب على الانجاز العظيم للمقاومة الباسلة في لبنان واجهاض استباقي «لتداعياته التحريرية المرتقبة في ارجاء القارة العربية والاسلامية، المبشرة بمولد عصر آخر لجيل مختلف من مفاهيم المقاومة ومناهجها واهدافها، ومن ثم في انماط تحشيداتها وتشكيلاتها الميدانية»؟

كان الرئيس جورج بوش اول من تحدث عن الاعتدال والمعتدلين مخاطبا الجمعية العامة للامم المتحدة ومبشرا بعالم اكثر امنا واكبر املا، عالم بعيد عن الارهاب، «يكون الرجال والنساء العاديون فيه احرارا في تقرير مصيرهم بانفسهم، وحيث يتم تمكين اصوات الاعتدال، وحيث يتم فيه تهميش المتطرفين من قبل الاكثرية المسالمة»، خالعا صفة الاعتدال على كل من محمود عباس وجلال الطالباني وبرويز مشرف وحامد كرزاي مؤكدا انهم جميعا «يعملون في سبيل هزيمة قوى الارهاب والتطرف»، لينتهي بدعوة تشبه الوعيد: «على كل دولة ان تتخذ خيارها، اما ان نؤيد المعتدلين والمصلحين الذين يعملون في سبيل التغيير في الشرق الاوسط الكبير، واما ان نسلم المصير للارهابيين والمتطرفين. وقد اتخذت امريكا خيارها: نحن نقف في صف المعتدلين والمصلحين!» الكيان الصهيوني طبعا جزء وركيزة اساسية في حلف المعتدلين وحربه الغاشمة على لبنان كانت، برأي بوش وادارته، الحلقة الاولى من حرب هذا المعسكر التي تعد العدة لحروب اخرى قادمة على راس قائمتها سورية وايران ما لم تنصاعا للهيمنة الامريكية.

ثم تبنت وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس هذه «العقيدة» Doctrine الجديدة خصوصا خلال الحرب الامريكية الصهيونية على لبنان لتتولى بنفسها القيام والاشراف على بناء تحالف «القوى المعتدلة» ليضم كلا من العربية السعودية ومصر والاردن كمعسكر ستوكل اليه مهام «كاسحة الالغام» في مواجهة قوى التطرف ممن غره نصر «حزب الله» واعتزم شق عصا الطاعة! فكان ان صرحت في مقابلة مع مجلس تحرير صحيفة «وول ستريت جورنال» Wall Street Journal، بتاريخ 25 ايلول (سبتمبر) 2006: «اعتقد انه تم تنبيهنا بشدة هذا الصيف مع وقوع الحرب في لبنان لانه لم يكن قد تم توضيح الوضع حقاًفي السابق، لانه تعين على الشرق الاوسط بكل عداواته التاريخية وما الى ذلك (ابان تلك الحرب)، ان يواجه بيئته الحديثة، الراهنة، وهي بيئة ظهرت فيها صورة التطرف في جهة والاعتدال في الجهة الاخرى بشكل واضح جدا»، لتضيف الى قائمة بوش من المعتدلين فؤاد السنيورة في مواجهة قوى التطرف المتمثلة في كل من حزب الله وايران وسورية. وفي تعليق على زياراتها المكوكية للمنطقة اكدت على ان المحميات التي تزورها هي «مجموعة يمكن لك ان تتوقع منها دعم القوى المعتدلة الصاعدة في كل من لبنان والعراق والمناطق الفلسطينية». وفي «حرص» شديد على امن مركز الاعتدال هذا، اعربت رايس عن التزامها بدعم امريكي غير مشروط خصوصا ان العربية السعودية ومصر والاردن اعربت عن «القلق العميق الذي تشعر به الدول العربية المعتدلة ازاء التهديد بزعزعة الاستقرار الذي يمثله سلوك حزب الله المغامر (لاحظوا المغامر في اشارة للموقف السعودي من عملية اسر الجنود الصهاينة) وغير المكبوح باي قيود». وتعتمد رايس والادارة الامريكية في تنسيب اعضاء الحلف المعتدل على ضرورة التطبيع مع الكيان، وعليه فمعظم الدول الاعضاء في التحالف الجديد تقيم علاقات رسمية مع الدولة العبرية، وتجري اتصالات رسمية معها وعلى تحريك فزاعتين اثنتين:

* ما تسميه بـ: «الهلال الشيعي» كما انذر عاهل الاردن
* البرنامج النووي الايراني وطموحات ايران الاقليمية

وفي هذا تقول كوندي لصحيفة «نيويورك تايمز» بتاريخ 25 ايلول (سبتمبر) 2006: «اعتقد ان على المرء حساب الدول المجاورة، التي اربكها ما حدث في لبنان والتي ترى التهديد الايراني بشكل اوضح مما كانت تراه في السابق. واعتقد انكم سترون ان تلك الدول ستقاوم النشاطات الايرانية في المنطقة وستضع المال والموارد في يد القوى المعتدلة. وقد وضع السعوديون خلال ايام 1.5 بليون دولار في لبنان، 1.5 بليون دولار لمقاومة حزب الله وايران»

هذا بالنسبة لظروف النشأة والمنتمين لقوى الاعتدال حسب المنظور الامريكي فما هو المقصود بالاعتدال؟

تصف الولايات المتحدة الامريكية الحلفاء والاعداء وفق معيار اوحد وهو المصلحة القومية وصفة الحليف او العدو ليست ثابتة ما دامت مصالح الامبراطورية تتغير بتغير الخرائط الجيوسياسية. وما دام المشروع الامبراطوري المرتبط مصيره عضويا بما سيتمخض عنه احتلال العراق فان الحلفاء هم من سيقفون سندا او صدا ضد كل قوى المقاومة لهذا المشروع. ستلتقي المتضادات بقدرة قادر والممالك بالجمهوريات الوراثية، لا بأس، ما دام ذلك في خدمة المشروع! تمشيا مع هكذا منطق ننتهي الى التصنيفات التالية: في لبنان، يقف فؤاد السنيورة وقوى 14 آذار في صف المعتدلين ضد «حزب الله» المتطرف، وفي فلسطين، محمود عباس وعرابو خيانات اوسلو سيئة الذكر ضد «حماس»، وفي العراق، نوري المالكي والعملاء المدعومين بقوى الاحتلال البغيض ضد المقاومين من سنة وشيعة وغيرهم.

طبعا تلقف الكيان الصهيوني الشريك في صنع القرار الامريكي والمخلوعة عليه صفة الاعتدال هذه المبادرة ليستأنف اختراق الصف العربي مدعوما بالثلاثي العربي مما حدا بالجنرال الصهيوني عامي ايالون احد قادة حزب العمل للقول: «علينا ان نشرع فوراًفي بذل كل الجهود الممكنة من اجل اقامة تحالف بين دولة اسرائيل والدول السنية المعتدلة في المنطقة، لا سيما مصر والسعودية والاردن وحكومة السنيورة في لبنان». هذا عن التحالف، اما بالنسبة للمهام المنوطة بعهدته فسنحاول ايجازها كالتالي:

1ـ فلسطينيا:

* تسفيه خيار المقاومة وجعله سببا في معاناة الفلسطينيين بدل ادانة الاحتلال
* رفض الخيار الديمقراطي الفلسطيني بجعل «حماس» عاجزة عن الوفاء بعهودها الانتخابية عبر محاصرتها ومقاطعتها دبلوماسيا وممارسة سياسة التجويع والابتزاز.
* تسويق خيار الاستسلام على انه الحل الامثل عبر التلويح بطعم الدويلة الذي لم يعد ينطلي حتى على اطفال ومعتوهي غزة.
* تعزيز موقف عباس وجماعته والدفع بحكومة حماس على استقالة قسرية او اعتراف مستحيل بالكيان الصهيوني.
* القيام بتدريب وتسليح الاجهزة «الامنية» الموالية لمحمود عباس تحت اشراف امريكي وبمعونة ضباط من مصر والاردن، بهدف تحضيرها لمواجهة قادمة مع القوات المسلحة التابعة لحركة حماس: (ما يعرف بخطة المنسق الامني الامريكي في مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية، الجنرال كيث دايتون التي خصصت لها ادارة الرئيس جورج بوش مبلغ مليوني دولار كمنحة للرئاسة الفلسطينية في رام الله بهدف اقامة معسكر خاص معد ومجهز للتدريب والتأهيل).
* الدفع نحو افق مسدود ولو كلف ذلك حربا اهلية لا تبقي و لا تذر.
* تكفل الحلف المعتدل بخنق المقاومة والتضييق عليها من خلال ما يسمى بالتعاون الامني وغلق المعابر وغلق الارصدة المالية الداعمة لفصائل المقاومة في اطار خطط «تجفيف المنابع»!
* منح عباس وزمرته صلاحيات غير عادية وتعويم ارصدة حركة فتح البنكية لتحل هي الازمة الخانقة وتكون بذلك اوفت بما لم تستطعه حماس.

2ـ لبنانيا:

* قطع الطريق امام استحقاقات النصر الذي حققه مناضلو حزب الله للكسب بالدبلوماسية ما خسره الكيان عسكريا وللتعويض عن «فشلها في الميدان على امتداد ثلاثة وثلاثين يوماً طويلة لم تترك خلالها سلاحاً الا وجربته: من الطيران الحربي (وضمنه الام. كا) الى المدفعية الثقيلة، الى الصواريخ، الى مدافع الدبابات، الى الاسلحة المحظورة كاليورانيوم المخصب.
* العمل على وأد حالة الصحوة القومية لدى ابناء هذه الامة ممن راوا في نصر «حزب الله» حافزا على النهوض والعودة للقاعدة الذهبية: ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة!
* تحميل «حزب الله» المسؤولية كاملة عن حرب عدوانية لم تبدأ امس.
* التلويح بالخطر الطائفي ليصبح سلاح «حزب الله» اخطر من ترسانة الكيان النووية!
* الادعاء ان الحرب من تدبير ايراني او سوري رغم كل الدراسات التي بينت ان الحرب كانت حربا بالوكالة، فامريكا التي خاضت الحرب في العراق طالبت الكيان برد الجميل ليخوض حربا بدلا عنها، الا تذكرون رايس حمالة القنابل الرافضة لايقاف الحرب مصرحة بكل وحشية ان دماء الاطفال والشيوخ والنساء هي معمودية ميلاد شرق اوسط جديد!
* ممارسة الابتزاز المعهود من خلال ربط عملية الاعمار بالمواقف السياسية من الكيان ومن «حزب الله».
* محاولة عزل حزب الله والمطالبة بنزع سلاحه عنوة نخشى ما نخشاه ان يزاد في صلاحيات جيوش اليونيفل لتتولى بنفسها المهمة التي عجز عنها المحتل.

3ـ عراقيا:

* خنق نهج المقاومة من خلال وسمه بالارهاب والتعتيم على عملياته التي يعترف العدو نفسه بنوعيتها ومدى اثرها البالغ وما آخر ضربة لأحصن قاعدة امريكية الا خير دليل
* التعاون الامني والتخابري وتسليم البيانات لاجهزة المخابرات الامريكية لتعقب من يشتبه بهم
* مراقبة الحدود والعمل على منع المجاهدين من ابناء هذه الامة الراغبين في الذود عن العراق من العبور الى الداخل
* القيام بدور شاهد الزور في افظع جريمة يشهدها العصر والتستر على حرب الابادة التي يشهدها العراق، فحتى اللقاء الذي نظمته المملكة العربية السعودية داعية المرجعيات السنية والشيعية العراقية من اجل الاتفاق على حقن الدماء وتوقيع «وثيقة مكة» التي تحرم الاقتتال الداخلي وسفك دم المسلم على يد اخيه المسلم، كان كما لقاء القاهرة سابقا، بوصاية وضغط امريكيين في اطار البحث عن سبيل للتخفيف من حدة عمليات المقاومة من جهة ورفع الحرج الذي يلحق بسمعة الولايات المتحدة نتيجة ارتفاع عدد ضحايا العراق، ولم يكن مطلقا بدافع صحوة ضمير سعودية فالعراق ومنذ 3 سنوات ونصف يرزح تحت احتلال امنه «محور الاعتدال» كل ودرجة تواطئه، استشهد منه 655 الفا حسب آخر احصائية لمجلة «لانست» الطبية وهجر منه 4 ملايين ودمرت كل بنيته التحتية واصبح مستباحا بمباركة عربية رسمية
* تلميع صورة الاحتلال والادعاء بان العراق الآن افضل مما كان عليه تحت حكم الرئيس السابق.
* تسفيه خيار الرفض للاحتلال والاعتراف بحكومة العمالة.
* تسويق مشاريع المحتل وتسهيل عبور شركات النهب والنصب الصهيو ـ امريكية والاردن ضليع في تعريب الشركات الصهيونية التي اجتاحت العراق تحت غطاء ورعاية اردنية!

4ـ عربيا:

* فرض الاجندة الامريكية بما يعنيه من تكريس للتبعية وفقدان للقدرة على المواجهة
* الدفع بالمترددين نحو قطار التطبيع مع الكيان كسبيل وحيد للبقاء ومن خانته الذاكرة فمثال ليبيا معمر القذافي لا يزال ماثلا.
* تشديد الضغط ومحاصرة ما تسميه الادارة الامريكية وحلف الاعتدال بالـ«راديكاليين» من قوى الرفض والممانعة من خلال تجنيد قوى اقليمية ومحلية لتغيير موازين القوى كخطوة اولى نحو خلق هلال ممتد من عمان حتى كردستان
* اجهاض كل نفس مقاوم من خلال ربط حركات التحرير بمنظمات الارهاب واللعب على هلامية وضبابية التعريفات.
* حرف حركات المقاومة وجرها نحو مستنقعين اما التطبيع او الحرب الاهلية
* وضع الاقطار العربية نحو الوصاية وذلك من خلال تدويل كل المشاكل مهما بلغت بساطتها وكاننا غير قادرين على حلها بأنفسنا.
* توفير السجون والقواعد السرية وتأمين نشاطات عملاء المخابرات المركزية والمكتب الفدرالي (الاردن، مصر...).
* دفع فاتورة حروب الامبراطورية من دم ومقدرات ومستقبل ابناء هذه الامة: الم تدفع العربية السعودية تكلفة الحربين في افغانستان مرة مع حركة طالبان ومرة ضدها كما دفعت فواتير حروب الخليج جميعها مضيا في سياسة الشيزوفرينيا العربية الرسمية؟
* اعادة الاعتبار لنظام رسمي سلبه نصر «حزب الله» آخر ورقة توت كان يواري بها سوءاته ومقايضة البقاء او التوريث بالسيادة الوطنية
* المضي في مخطط وبرنامج التدرذر السوسيولوجي المنظم قصد تفتيت المفتت والاجهاز على هذه الامة من خلال الحروب الاهلية والاثنية والطائفية.....

المضاعفات:

لا شك ان حالة التردد والسلبية والتواكل التي تتسم بها الحركات والقوى التقدمية العربية التي لم ترتفع برأينا لمستوى الانجاز الذي حققه حزب الله في حرب استرداد الكرامة الاخيرة، بحيث لم يلتحموا به خلال المعركة ولا ناصروه ابان حصاره ولم يساعدوه للحفاظ على استحقاقات نصر مؤزر قد يتحول لا قدر الله الى وبال على لبنان الذي يوضع تدريجيا وبرعاية امريكية وتواطؤ عربي رسمي تحت الوصاية الاطلسية. كل هذا مضافا لما يملكه تحالف الاعتدال من هامش مناورة وامكانيات مادية واعلامية ضخمة لتخريب الذمم وحرف المناضلين وبث ثقافة التسليم والركوع للغالب يجعلنا نتوجس خيفة من مستقبل عربي يكاد يعصف به الاعداء المتحلقون حول هذا الوطن المستباح يساعدهم في ذلك احفاد ابن العلقمي من انظمة وملوك طوائف لا هم لهم سوى الحفاظ على العروش. فكلما عرف المشروع الامبراطوري تقهقرا وتراجعا كلما انبرى هذا المعسكر لنجدته. لكن ما يبعث على التفاؤل ان المرحلة مرحلة فرز للقوى ولم يعد من الممكن التعلل او التخفي وراء شعارات «ضرورات المرحلة» و«الانحناء للعاصفة» و«الواقعية» فقد تعرت كل المواقف وصار المواطن العربي يعرف جيدا من هو عدوه الحقيقي. الم يرفع هذا الجمهور صور المناضل السيد حسن نصر الله الشيعي في قلب الازهر الشريف ومدن ومخيمات وقرى فلسطين وبلدان الخليج والمغرب العربي، السنة قبل الشيعة، لانهم يدركون ان السيد يخوض معركته مع العدو ليس من منطلق مصلحة طائفية ولكنه يرفع راية امة؟!

الخاتمة

ان الاعتدال كما تريده الولايات المتحدة وادارتها الحالية ليس وسطية ولا عقلانية بل هو انحناء وركوع! تكريس لمربع الهوان المتمثل في التفريط والتوقيع والاقرار فالتسليم!!! انه الثقافة جديدة على سياساتها الخرقاء التي جعلت من المنطقة «فأر تجارب» لشطحات منظريها، واذا كانت واشنطن ترى في المقاومة العربية في فلسطين والعراق ولبنان والسودان وفي كل شبر من هذا الوطن «تطرفا» فليس لنا خيار الا ان نقاوم حتى لا يجرفنا طوفان فوضاهم الـ«خلاقة»! وما تمر به الامبراطورية الامريكية المترنحة يدعو شرفاء هذه الامة الى الخروج من الاستقالة الجماعية التي يحترفونها لننقاد «كالنعاج» الى مسلخ مفتوح من غزة الى بغداد، فهذا ريتشارد هاس احد المستشارين السابقين لجورج بوش، وفي مداخلة امام مجلس العلاقات الخارجية، احد اكبر مراكز البحوث نفوذا في الولايات المتحدة، يسفه دهاقنة الوقوعية من مثقفي الطابور الخامس العرب الذين ينعقون صباح مساء مطالبين بضرورة التسليم والقبول بما اقتسم لنا القدر الصهيو ـ امريكي ليجاهر هو بالقول: «ان العصر الامريكي في المنطقة قد ولى، كما ان الرؤية الآملة في بروز شرق اوسط جديد شبيه بأوروبا ديمقراطي وآمن، لن تتحقق! على العكس، فان هذه المنطقة، (في ظل استمرار الادارة الرعناء على نفس النهج) ستكون مصدر اذى كبير يلحق بها وبالعالم»!

ان امة تتعرض لكل هذه الهجمات ولا تزال تنجب حركات مقاومة في كل من فلسطين والعراق ولبنان رغم الصلف الامريكي وجبروته لقادرة على النهوض من جديد. انها معركة وجود، ولم يعد امامنا خيار غير مواجهة قدرنا لنخوض حرب الانسانية في مواجهة امبراطورية الشر المحض!

*باحث في الفكر الاستراتيجي الامريكي
جامعة باريس

سورية على مفترق طرق ومحاور اقليمية لم تعد تتحكم بمفاصلها

د. محمد عجلاني*

كان الرئيس حافظ الاسد يضع رجلا في المحور الايراني ورجلا اخرى في المحور السعودي ـ المصري، كان يستثمر هذه السياسة المرنة لتدعيم نفوذه الاقليمي وكذلك مركزه لدى الدول الكبرى، كان تارة مع ايران ضد العراق، وتارة اخرى مع دول الخليج والكويت ضد العراق.

بالطبع استفاد الرئيس الاسد الأب من تغطية دولية وظروف مناسبة استغلها قدر الامكان للقيام بدوره الاقليمي.

هذه الظروف وهذه التغطية لم تعد متاحة امام الابن، الذي سحبت منه هذه التغطية الدولية ساعة وصوله الى الحكم. بالاضافة الى كل هذا وذاك، لم يعد الابن يتحكم بمفاصل تحالفاته، وخاصة ان الاحداث الدولية من غزو افغانستان الى العراق رمت به داخل المحور الايراني على حساب المحاور الاخرى، فالابن وجد نفسه على حلبة الملاكمة يتلقى الضربات ولم يعد يضرب مثل والده، بل هامش المناورة اصبح ضعيفا جدا بالنسبة له وخاصة بعد طرد قواته العسكرية من لبنان، وتلبيسه تهمة اغتيال الحريري.

واليوم يجد النظام السوري نفسه اكثر من اي وقت مضى امام معضلة، فقد اخرج او خرج بنفسه من محور ما يسمى بالمعتدلين العرب اي السعودية ومصر واستبدلوه بالاردن، ليجد نفسه في حلف مع دولة كبيرة تفوقه بالمساحة الجغرافية وعدد السكان والثروة الاقتصادية وكذلك القوة العسكرية، وهذه الدولة التي خرجت كالمارد بعد ان استراحت على حدودها العراقية والافغانية لتوسع نفوذها وتمده باتجاه البحر المتوسط ومنطقة الهلال الخصيب، واصبح الوجود الايراني او الشيعي واضحا حتى في قلب العاصمة السورية دمشق.

وايران الدولة المارقة كما يسميها بوش واحدى دول محور الشر حسب تعبير الرئيس الامريكي نفسه تفرض اليوم نفسها كقوة اقليمية في طور بناء قوة نووية تنافس بها دولة اخرى تتمتع بهذه القوة منذ وقت طويل تحت سمع وصمت ودعم العالم.

كان لدى سورية اوراق اقليمية لبنانية وفلسطينية انتزعت منها، ولبنان اليوم اصبح ساحة مواجهة بين ايران والغرب، اكثر منه بين سورية والغرب، حتى ان وزير خارجية فرنسا دوست بلازي اجتمع بوزير الخارجية الايراني متكي اثناء حرب لبنان الاخيرة متجاهلا تماما سورية ودورها.

اما بالنسبة للعراق، فسورية تتحمل تبعات هذه الحرب الدائرة على الارض العراقية حيث يتواجد اليوم في سورية اكثر من مليون لاجىء عراقي بدون ان تستثمر او يكون لها اوراق ونفوذ حقيقي داخل الساحة العراقية، بل التأكيد يتم على ان ايران هي اللاعب الرئيسي في العراق، وجيمس بيكر تناول العشاء مع سفير ايران لدى الامم المتحدة متجاهلا تماما وجود عماد مصطفى سفير سورية لدى امريكا. واما بالنسبة للفلسطينيين فقد سلم هذا الملف الى الاردن والملك عبد الله الثاني حيث اصبحت عمان عاصمة اللقاءات والاجتماعات بين الفصائل الفلسطينية بالاضافة الى عراب مبارك عمر سليمان الذي يقوم بمهمة ساعي البريد فقط بين الاسرائيليين والفلسطينيين.

اذن سورية اليوم مضطرة للتحالف مع ايران وبالصيغة الايرانية بعد ان وجدت نفسها محاصرة حتى من طرف اشقاء عرب، ساهموا بشكل او بآخر في اخراجها من الساحة اللبنانية.

واليوم يجري الحديث عن فك تحالفها مع ايران كما يسعى الى ذلك الغرب! ولكن هل يمكن فك هذا التحالف بعد ان وصل الى هذه الدرجة من القوة والعمق؟

ثانيا: ما هي الضمانات التي سيقدمها الغرب لسورية؟ ثالثا، ما مدى قدرة الدول الغربية وعلى رأسها امريكا في اقناع اسرائيل بالتخلي عن الجولان؟

هذه هي الاشكالية وجوهر المعضلة، والغرب بحاجة الى ان يمنح تطمينات وضمانات لسورية على جميع هذه التساؤلات قبل ان يطرح صيغة فك الترابط بين دمشق وطهران.

* رئيس مركز دراسات الحياة السياسية السورية في باريس

اعدام صدام حسين أم اعدام العراق؟

عادل الحامدي*

■ «سيداتي سادتي، لقد قبضنا عليه»، بهذه الصيغة المثيرة، والمتحدث بول بريمر الحاكم المدني الأمريكي الأول للعراق المهزوم، والمقبوض عليه أحد أكبر القيادات العربية ورئيس منتخب يتمتع دستوريا بالحصانة أثناء ممارسته الحكم. لكن هذا الرئيس ارتكب أخطاء جسيمة في حق الشعب العراقي.

المحكمة العراقية توصلت الى الحكم على صدام شنقا حتى الموت باعتباره مجرم حق عام، ولا شك أن طابورا من الرؤساء والزعماء العرب، لا سمح الله، مطلوب منها ديمقراطيا أن تستعد نفسيا وماديا لمواجهة هذا السيناريو، اذ لا يوجد رؤساء ولا ملوك بلا تجاوزات حتى وان لم تصل سقف ممارسات صدام المخلوع. في تاريخ العراق ما هو أسوا من الاعدام بحبل، فقد أقيمت عمليات الاعدام الجماعية على أيدي فرق الاعدام ودفن الأشخاص أحياء، واغراقهم في الأنهر، وترك السجناء ينزفون حتى الموت، وعمليات الاغتيال التي تستهدف أشخاصاً معينين، وسملت أعين كثيرة. اذا كان شرف المهنة يملي علي الحياد ليس في نقل الخبر فحسب بل في عرض الحقيقة وتعرية ما خفي منها. لكن ذلك كله لا يعفي الصحفي من أن يكون له موقف أخلاقي تفرضه على وجدانه ملابسات الواقع وتعقيداته، وهذا ما دفعني الى الحديث عن الحكم الذي صدر بحق الرئيس المخلوع. بعد القاء القبض على صدام حسين سارع وزير الخارجية البريطاني أنذاك جاك سترو، أحد الشخصيات السياسية المهمة في المملكة المتحدة الى التعبير عن رفضه لمبدأ اعدام الرئيس العراقي، وهو موقف عبر عنه أيضا الرئيس العراقي الحالي جلال الطالباني المعروف بتاريخه النضالي الذي يرفض هذا النوع من الأحكام أصلا.

عند هذا الحد تثار في ذهني كثير من الأسئلة المحيرة: من حيث المبدأ على الأقل يتنافى اعدام رجل في السبعين لجرائم سياسية اشترك معه في اقترافها كثير من الأطراف العربية والغربية التي خاض صدام بالنيابة عنها حربا بالوكالة للاجهاز على الثورة الاسلامية العدو السافر يومها؟

يوم أن قامت الثورة الاسلامية في ايران وأطاحت بنظام الشاه الموالي للغرب عام 1979، أدرك صدام حسين بنظرته التاريخية والأمنية، وأدرك معه جيرانه من الخليجيين على وجه الدقة والتحديد، أن التاريخ السياسي للمنطقة بدأ يعيد نفسه، وأن خطاب الثورة الايرانية يعيد للأذهان، صفحات مظلمة من تاريخ الصراع العربي ـ الفارسي، فأعلن الحرب نيابة عن العرب في حرب كان يظنها جولة لن تستمر أكثر من أسابيع، لأنه يجابه نظا